

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً»، اللهم لك الحمد! خمس صلوات، وكل صلاة عن عشر صلوات، فيكون الجميع خمسين صلاة، لكل صلاة عشر حسنات؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها؛ إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وليس التضعيف أن تكون الواحدة بعشر، وليس هو التضعيف المعروف: كل حسنة بعشر أمثالها؛ بل هذا يعتبر كأن الإنسان صَلَّى خمسين صلاة بالفعل، ولذلك قال سبحانه وتعالى: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً»؛ قال: (خمسون صلاة)، وليس: (خمسون ثواب صلاة).

وقوله: «وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ» فالحسنة تُكتب بعشر حسنات، والسيئة بواحدة، فإن لم يعملها، فهنا يقول: لم تكتب شيئا، وقد سبق أنها تكتب حسنة كاملة، لكن ما سبق فيه التعليل، وهو قوله: «إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَائِي» أي: مِنْ أَجْلِي، وقد سبق التفصيل في ذلك، وبيناً أن تارك السيئة له أحوال^(١).

ثم قال صلى الله عليه وسلم: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

وهذا الحديث دليل على فوائد كثيرة جمّة:

١ - منها: بيان قُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٢- ومنها: إكرام الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

٣- قوة جأش الرسول عليه الصلاة والسلام، وقوة قلبه، فإن الله سبحانه وتعالى أسرى به، وعرج به، وأراه الآيات العظيمة، ومع ذلك ما كَذَّبَ الفؤادُ ما رأى، وما زاغ البصر وما طغى، فكان على كمال الثبات، وعلى كمال الأدب، حتى بصره لا ينظر يمينًا ولا يسارًا.

والعادة من البشر أنه إذا جاء شيئًا مستغربًا يتلفَّت، ينظر يمينًا ويسارًا، لكن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان على كمال الأدب، فما زاغ بصره، وما طغى، يعني: ما ذهب يمينًا ولا شمالًا، وما تعدَّى ما أُذِنَ له أن يراه.

٤- بيان أن السماء سقْفٌ له أبواب تُسْتَفْتَح، ولا يدخل أحد إلا إذا فُتِحَ له، وهذا أمرٌ مقطوعٌ به، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، والله عزَّ وجلَّ سَمَّى السماء سقْفًا محفوظًا.

٥- وفيه -أيضًا-: أن السموات سبع، وأن بين كل سماء وسماء مسافة طويلة، وقد وردت أحاديث تدل على أن بين كل سماء والتي تليها خمس مئة عام.

٦- إثبات كلام الله عزَّ وجلَّ، وأنه يتكلَّم بصوتٍ مسموعٍ؛ لأن الله تعالى سَمِعَ كلام النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو يحاور ربَّه، وكان يراجعُه.

٧- وفيه الردُّ على الأشاعرة، الذين يقولون: إن الكلام هو المعنى القائم بالنفس! وأن ما سمعه النبي عليه الصلاة والسلام إنما هو أصوات خُلِقت، تعبَّرَ عن كلام الله عزَّ وجلَّ!! ووجه الدلالة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم أضاف القول إلى الله تعالى، وإذا أُضيف القولُ إلى قائله، صار الصوت قائمًا به لا غيره.

٨- أن لموسى عليه الصلاة والسلام فضلاً على هذه الأمة، حيث كان سبباً في التخفيف عنهم من خمسين صلاة إلى خمس صلوات.

٩- إثبات البيت المعمور.

١٠- إثبات الملائكة.

١١- إثبات كثرة الملائكة.

١٢- فضل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حيث كان مُسْنِداً ظهره إلى هذا البيت المعمور بطاعة الله سبحانه وتعالى.

١٣- وفيه: الهمُّ بالسيئة والحسنة، وقد سبق الكلام عليه.

١٤- وفيه -أيضاً-: إثبات الحياء، وأن الإنسان يستحيي من كثرة التكرار، فقد تهون عليه المرة، أو المَرَّتَانِ، لكن التكرار يستحيي منه الإنسان، ولا يتحمّله.

وهل نقول: إن ترتيب الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في السموات يدل على الترتيب في الأفضلية؟

الجواب: أنه لا يدلُّ على التفضيل؛ لأن عيسى عليه الصلاة والسلام في السماء الثانية، وهو أفضل ممن فوقه إلا موسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

١٦٢- حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا بِهِزُ بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُتِيْتُ فَأَنْطَلَقُوا بِي إِلَى رَمَزَمَ، فَشُرِحَ عَنْ صَدْرِي، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءٍ رَمَزَمَ، ثُمَّ أُنْزِلْتُ».

١٦٢ - حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ قَرُوحَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ جِزِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ، فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً؛ فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ؛ ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ -يَعْنِي: ظِفْرُهُ-؛ فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ؛ فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُتَمَتِّعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ.

١٦٢ - حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ -وَهُوَ: ابْنُ بِلَالٍ- قَالَ: حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ؛ يُحَدِّثُنَا عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ؛ أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ نَحْوَ حَدِيثِ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، وَقَدَّمَ فِيهِ شَيْئًا وَآخَرَ، وَزَادَ وَنَقَصَ^[١].

[١] وعلى هذا نقول: ما خالف فيه شريك ثابتاً رحمهما الله، فإنه ينظر الأرجح فيؤخذ به، وما زاد عليه بدون مخالفة؛ فإنه يؤخذ بالزيادة.

وهذا صريح في أن الرسول صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم أُسْرِيَ به من مسجد الكعبة.

وصريح -أيضاً- في أن مسجد الكعبة لا يَعُمُّ جميع الحرم، بل هو خاص بالمسجد الذي فيه الكعبة، وهنا نتذكر ما قلناه -سابقاً- بأن تضعيف الصلاة بمئة ألف خاص بالصلاة في مسجد الكعبة، كما جاء ذلك في «صحيح مسلم»؛ أنه قال

عليه الصلاة والسلام: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ»^(١)، وهذا نصٌّ واضحٌ يبيِّن.

فعلى هذا نقول: إن الرسول صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أُسْري به من المسجد الحرام - كما في القرآن -؛ والمسجد الحرام هنا، هو مسجد الكعبة - كما في هذا الحديث -.

أما ما ورد من أنه أُسْري به من بيت أم هانئ رضي الله عنها^(٢)، وكذلك في حديث ثابت: أنه شق عن سقف البيت، فقال ابن حجر - في الجمع بينهما -: أنه كان نائماً في الأول في بيت أم هانئ، ثم استيقظ فقام، ونام - بعد أن جاءه الملك - في الحجر في مسجد الكعبة، ثم أُسْري به من هناك^(٣).

فإن قيل: هل يدلُّ الحديث على جواز مدح الشخص في وجهه، كقوله: مرحباً بالنبى الصالح... إلخ؟

فالجواب: أما (مرحباً) فليست مدحاً، لكنها تحية، أما في النبى الصالح، فقد يكون المراد بذلك المدح، وهو أهلُّ له عليه الصلاة والسلام، وقد يكون المراد بذلك الشهادة له ليزداد طمأنينة، والناس في باب المدح يختلفون، فمنهم من لو قيل له: ما شاء الله! أنت رجل صالح، ومن عباد الله الصالحين، انتفخ! وبعض الناس يعرف قدرَ نفسه، فلو قلت له شيئاً، وهو ليس متَّصفاً به، لا يهमे الكلام، فيُنظر.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدَي مكة والمدينة، رقم (١٣٩٤).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٨٣/١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٣٢/٢٤).

(٣) «فتح الباري» (٢٠٤/٧).

١٦٣ - وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التَّجِيبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَرَجَ سَقْفُ بَيْتِي - وَأَنَا بِمَكَّةَ - فَتَزَلَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءٍ رَزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُتَلَيٍّ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا؛ قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِحَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ. قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: فَأَرْسِلْ إِلَيْهِ، قَالَ: نَعَمْ، فَفَتَحَ - قَالَ: - فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ - قَالَ: - فَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى - قَالَ: - فَقَالَ مَرَحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ - قَالَ: - قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى...^[١].

[١] هذا الحديث يختلف في سياقه عن الحديث السابق بعض الشيء.

ففي هذا: أنه لما بلغ السماء الدنيا وجد عن يمين هذا الرجل أسودة، وعن شماله أسودة، وهذه الأسودة هي نَسَمُ بَنِيهِ، يعني: أرواحهم ونفوسهم.

إذا نظر إلى الأسودة التي عن يمينه ضحك، وإذا نظر إلى الأسودة التي عن شماله بكى؛ لأن الأسودة التي عن يمينه، هم أهل الجنة، والآخرين هم أهل النار.

ولا يلزم من هذا أن تكون هذه الأسودة في منزلة واحدة؛ لأنَّ أهل الجنة في

الجنة، وهي عليا، وأهل النار في النار، وهي سفلى.

ولا يمنع أن الإنسان ينظر إلى فوق عن يمين، وأن ينظر أسفل عن شمال، هذا أمر محسوس، مُدْرَك بِالْحِسِّ، على أنه يجوز أن الله تعالى رفع الذين في النار، وأنزل الذين في الجنة، يعني: الأرواح في تلك الليلة.

فإن اتسع قلبك لكون آدم ينظر إلى فوق من اليمين، وإلى أسفل من الشمال، فهذا هو الظاهر، وإن لم يتسع فإنه يمكن أن تكون أسودة أهل النار رفعت، وأسودة أهل الجنة أنزلت حتى صارت عن يمين، وعن شمال في مستوى واحد.

وفيه: سرور آدم عليه الصلاة والسلام ببنيه إذا كانوا من أهل الجنة، وحزنه إذا كانوا من أهل النار، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة.

-قَالَ:- ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ؛ فَقَالَ لِحَازِنِهَا: افْتَحْ -قَالَ:- فَقَالَ لَهُ حَازِنُهَا مِثْلُ مَا قَالَ حَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَفَتَحَ؛ فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ وَإِدْرِيسَ وَعِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ -صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-، وَلَمْ يُثَبِّتْ كَيْفَ مَنَازِلَهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ...^[١].

[١] ولا شك أن ذكره إبراهيم في السماء السادسة وهم، وسياق الحديث يدلُّ على أن الراوي لم يَضْبِطْ، ولهذا لم يذكر منازلهم.

والذي لا شك فيه: أن الذي في السادسة هو موسى، أما إبراهيم فإنه في السابعة، وقد تقدَّم في الحديث السابق، أنه قد أسند ظهره إلى البيت المعمور.

قَالَ: فَلَمَّا مَرَّ جَبْرِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِدْرِيسَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ - قَالَ: - ثُمَّ مَرَّ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ - قَالَ: - ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ - قَالَ: - قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى - قَالَ: - ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى؛ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ؛ قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ^(١).

[١] غريب كل هذا الشذوذ في المتن، ثم مررت بعيسى بعد ذكر مروره بموسى! وسبق أن السياق الصحيح: أنه في السماء الثانية.

لكن لو أردنا أن نصحح ونتمحل لصحة هذا السياق، لقلنا: إن هذا ترتيب ذكري، بمعنى أنه لا يلزم أن يكون ما بعد (ثم) -الدالة على الترتيب- على ترتيبه اللفظي، بل هذا ترتيب ذكري، وأنشدوا على ذلك قول الشاعر ^(١):

قُلْ لِلَّذِي سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ سَادَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ جَدُّهُ

ومعلوم أن سيادة الأب، قبل سيادة الابن، وسيادة الجد قبل سيادة الأب، لكن هذا يقال له: ترتيب ذكري.

- قَالَ: - ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ - قَالَ: - قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ؛ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الْأَنْصَارِيِّ كَانَا يَقُولَانِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) «معاني القرآن» المنسوب للزجاج (١/ ١٠٥).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ». قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً - قَالَ - فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمَرَ بِمُوسَى فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ - قَالَ: - قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ لِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَرَاغِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ! - قَالَ: - فَرَاغَعْتُ رَبِّي فَوَضَعَ شَطْرَهَا - قَالَ: - فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخْبَرْتُهُ؛ قَالَ: رَاغِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ! - قَالَ: - فَرَاغَعْتُ رَبِّي؛ فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ! - قَالَ: - فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى؛ فَقَالَ: رَاغِعْ رَبَّكَ! فَقُلْتُ: قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي - قَالَ: - ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأَيْ سِدْرَةَ الْمُتَهَيَّ فَعَشِيهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ - قَالَ: - ثُمَّ أَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِدُ اللَّوْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ».

١٦٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - لَعَلَّهُ قَالَ: - عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ - رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ - قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأْتَيْتُ فَاَنْطَلَقَ بِي، فَأْتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ فُشِرَحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا». قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِيَ: مَا يَعْنِي؟ قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ؛ «فَاسْتُخْرِجْ قَلْبِي فَعَسَلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِيْمَانًا وَحِكْمَةً، ثُمَّ أُتِيَتْ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ؛ يُقَالُ لَهُ: الْبُرَاقُ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى آتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ».

قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ - قَالَ: - فَفَتَحَ لَنَا، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلِنَعْمَ الْمَحْجِيءُ جَاءَ - قَالَ: - فَأَتَيْنَا عَلَى آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ؛ وَذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ عِيسَى وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَفِي الثَّلَاثَةِ يُوسُفَ، وَفِي الرَّابِعَةِ إِدْرِيسَ، وَفِي الْخَامِسَةِ هَارُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: «ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْآخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَى؛ فَتَوَدَّيَ: مَا يُبْكِيكَ؟! قَالَ: رَبِّ هَذَا غُلَامٌ بَعَثْتُهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرَ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي - قَالَ: - ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ». وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: وَحَدَّثَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ؛ «فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ! مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ؟! قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ مَا هَذَا؟! قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أُتِيَتْ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا حَمْرٌ وَالْآخَرُ لَبَنٌ؛ فَعَرِضَا عَلَيَّ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقِيلَ: أَصَبْتَ أَصَابَ اللَّهِ بِكَ! أُمْتُكَ عَلَى الْفِطْرَةِ، ثُمَّ فَرِضْتُ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ حَمْسُونَ صَلَاةً؛ ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّتَهَا إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ.

١٦٤ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ؛ فَذَكَرَ نَحْوَهُ، وَزَادَ فِيهِ: «فَأَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُتَمَلِّئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا،

فَشَقُّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ، فَعُغِّلَ بِمَاءٍ رَمَزَمَ ثُمَّ مُلِيَ حِكْمَةً وَإِيَانًا»^[١].

[١] هذا -أيضاً- ليس فيه شيء زائد على ما سبق إلا مسألة الأنهار الأربعة.

وفيه -أيضاً-: أنه أتى باللبن والخمر في السماء، وفي الحديث الأول -في سياقه- أنه أتى بهما عند المسجد الأقصى، فإما أن يكون هذا الحديث -الذي معنا- فيه الترتيب الذكري -كما قلنا-؛ وإما أن يكون أوتي بذلك مرتين، والله أعلم.

وقوله: «أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ» اختلف العلماء رحمهم الله في معنى هذا، ف قيل: إن معناه على التشبيه البليغ، يعني: أنهما نهران يُشبهان النيل والفرات، وأنهما ليس هما النيل والفرات اللذين في الأرض.

وقيل: بل كانا في ذلك الوقت هناك، ثم نَزَلا.

ولكن الأول أقرب إلى المعقول؛ لأن هذين النهرين موجودان منذ زمن، من قبل المعراج، ومن قبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وأما شق صدره صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم فالأقرب -والله أعلم- أنه كان مرتين: مرة وهو صغير؛ ليتحمل أعباء الرسالة، ومرة عند المعراج؛ ليتحمل ما سيمرُّ به من آيات الله عزَّ وجلَّ.

وفي قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام -لما مرَّ عليه النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم- قال: الابن الصالح، وإدريس عليه الصلاة والسلام قال: الأخ الصالح؛ دليل على أن إدريس ليس من أجداد النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم؛ ثم إن إدريس عليه الصلاة والسلام من بني إسرائيل.

وقد وقع في حديث الإسراء ألفاظ مشتهرة، منها: قول جبريل - لما أوصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى منزلة ترك فيها جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، وتجاوز النبي صلى الله عليه وسلم، قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: هذه منزلة إذا تجاوزتها اخترقت، وإن تجاوزتها أنا احترقت.

فالظاهر أن هذا من الروايات الضعيفة، وحديث المعراج فيه أحاديث ضعيفة كثيرة، وفيه حديث المعراج الذي يُنسب إلى ابن عباس رضي الله عنهما فيه ما هبَّ ودبَّ، حتى ألفاظ الصحيحين مختلفة اختلافاً عظيماً، وسبب ذلك - والله أعلم - أنه كان في مكَّة، وكان الناس إذ ذاك ليسوا على جانب كبير من العناية والكتابة، وكما تعلمون أن الحِفظ خَوَّان، ربما ينسى الإنسان، فيزيد أو ينقص.

وأما قول موسى عليه الصلاة والسلام: هذا هو غلام بعثته بعدي، فليس قصده بذلك أنه الغلام الصغير، لكنه غلام بالنسبة للقوة؛ لقوته ونشاطه، أو غلام أراد به مطلق الصغر؛ لأنه بالنسبة لموسى صغير، ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أرسل وله أربعون سنة.

وهو لم يقصد النَيْل أبداً، ولا قصد الحَسَد، وإنما قصد الغَيْبَة، كما قال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ...»^(١) الحديث.

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الاغتياب في العلم والحكمة، رقم (٧٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، رقم (٨١٦).

١٦٥ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ؛ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ يَقُولُ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَعْنِي: ابْنَ عَبَّاسٍ- قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُسْرِيَ بِهِ؛ فَقَالَ: «مُوسَى آدَمُ طَوَّالٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ». وَقَالَ: «عِيسَى جَعْدٌ مَرْبُوعٌ». وَذَكَرَ مَالِكًا خَازِنَ جَهَنَّمَ، وَذَكَرَ الدَّجَالَ.

١٦٥ - وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ مُهَيْدٍ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ آدَمُ طَوَّالٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبِطَ الرَّأْسِ؛ وَأُرِيَ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ وَالْدَّجَالَ؛ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللَّهُ إِيَّاهُ: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَمَ مِنْ لِقَائِهِ﴾؛ قَالَ: كَانَ قَتَادَةُ يُفَسِّرُهَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ لَقِيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ^[١].

[١] يريد بذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَمَ مِنْ لِقَائِهِ﴾ [السجدة: ٢٣]، يعني: من لقاء موسى عليه الصلاة والسلام، وليس ببعيد، وهو أحد الأقوال في الآية.

١٦٦ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَسَرِيحُ بْنُ يُونُسَ؛ قَالَا: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟»؛ فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ»، ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةٍ هَرَشَى؛ فَقَالَ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟»؛ قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرَشَى، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَاقَةٍ حُمْرَاءَ جَعْدَةٍ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ، وَهُوَ يُلَبِّي»، قَالَ ابْنُ حَنْبَلٍ فِي حَدِيثِهِ، قَالَ هُشَيْمٌ: يَعْنِي لَيْفًا^(١).

[١] إِذَنْ فَهَذَا مُوسَى وَيُونُسُ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كِلَاهُمَا حَجَّ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ، وَكِلَاهُمَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّلْبِيَةِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: «جُؤَارٌ»، وَالْجُؤَارُ هُوَ رَفْعُ الصَّوْتِ.

وَفِي قَوْلِهِ: «عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ» مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حَجَّ السَّابِقِينَ مُخْتَلَفٌ عَنْ حَجِّنَا، هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْدُورًا، لَا نَدْرِي.

وَهَلِ الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى النِّسْخِ قَبْلَ التَّمَكُّنِ؟.

الْجَوَابُ: هَذَا النِّسْخُ نَسْخٌ لِلْفِعْلِ، وَلَيْسَ نَسْخًا لِلْأَجْرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَنَا أَجْرَ الْخَمْسِينَ بِالْفِعْلِ، وَإِنَّمَا خَفَّفَ عَنَّا، وَجَعَلَهَا خَمْسَةً، وَأَمَّا النِّسْخُ قَبْلَ التَّمَكُّنِ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ مُمْكِنٌ وَجَائِزٌ.

١٦٦ - وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَمَرَرْنَا بِوَادٍ فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟» فَقَالُوا: وَادِي الْأَزْرَقِ؛ فَقَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...» فَذَكَرَ مِنْ لَوْنِهِ وَشَعْرِهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ دَاوُدُ «وَاضِعًا إِبْصَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ مَارًا بِهَذَا الْوَادِي»، قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ؛ فَقَالَ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟» قَالُوا: هَرَشَى أَوْ لِفَتْ، فَقَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُوسُفَ عَلَى نَاقَةٍ حُمْرَاءَ عَلَيْهِ جُبَّةٌ صُوفٍ خِطَامٌ نَاقَتِهِ لَيْفٌ خُلْبَةٌ مَارًا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّيًا».

١٦٦ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَذَكَرُوا الدَّجَالَ؛ فَقَالَ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ؛ قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ أَسْمَعْهُ؛ قَالَ ذَاكَ وَلَكِنَّهُ قَالَ: «أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَاَنْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ، وَأَمَّا مُوسَى فَرَجُلٌ آدَمُ جَعْدٌ عَلَى جَهْلٍ أَحْمَرٌ مَخْطُومٌ بِخُلْبَةٍ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ إِذَا انْحَدَرَ فِي الْوَادِي يُلَبِّي»^[١].

[١] قوله صلى الله عليه وسلم: «فَانظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ» يعني: النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والمعنى: أن محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم شبيه بإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

١٦٧ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ. (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ؛ أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ سُوءَةٍ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهَا عُرْوَةَ بْنُ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهَا صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - وَرَأَيْتُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهَا دِحْيَةَ». وَفِي رِوَايَةٍ ابْنِ رُمْحٍ: «دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ»^[١].

[١] هنا رأى جبريل عليه السلام على غير صورته التي خُلِقَ عليها، وأما على صورته التي خُلِقَ عليها فله ستُّ مئة جناح قد سدَّ الأفق.

لكنه يأتي - أحياناً - بصورة رجل، كما أتى بصورة الرجل الغريب الذي لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة رضي الله عنهم؛ وأتى مرة بصورة دحية الكلبي رضي الله عنه، وهذا من آيات الله عزَّ وجلَّ، حيث جعل هؤلاء الملائكة يتمثلون بصورة الرجال.

١٦٨ - وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ - وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ -؛ قَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا - وَقَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا - عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فَتَنَعَتُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا رَجُلٌ - حَسِبْتُهُ قَالَ: - مُضْطَرِبٌ رَجُلُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ سُوءَةٍ

- قَالَ: - وَلَقِيتُ عِيسَى، فَنَعَتُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا رُبْعَةُ أَخْمَرُ كَأَنَّهَا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ»؛ يَعْنِي: حَمَامًا، قَالَ: «وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ - قَالَ: - فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الْآخَرِ خَمْرٌ؛ فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيُّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبْنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقَالَ: هُدَيْتَ الْفِطْرَةَ - أَوْ: أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ - أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ»^[١].

[١] وخلاصة ما سبق في الإسراء والمعراج أمور:

أولاً: أنها في ليلة واحدة.

ثانياً: أنها كانا قبل الهجرة.

ثالثاً: أنها من مكة إلى بيت المقدس، ثم العروج إلى السماء.

رابعاً: أنه من نفس المسجد الحرام، مسجد الكعبة.

خامساً: ثم ما حصل في السموات من أنه سلّم على مَنْ لاقاه من النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، كلهم يسلم عليه الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، ويردون السلام كما في سياقات أحاديث أُخْرَى، ثم يقول بعد رد السلام: مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح، إلا ما كان من آدم وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فقالا: مرحباً بالابن الصالح.

سادساً: فرض الصلوات، وهذا يدلُّ على فضلها من وجوه:

الأول: أن الله تعالى فرضها على النبي صلى الله عليه وسلّم بلا واسطة.

الثاني: أنه تعالى فرضها في أشرف ليلة للرسول صلى الله عليه وسلّم، وهي

ليلة المعراج.

الثالث: أنه تعالى فرضها في أعلى مكان وصله البشر.

الرابع: أنه تعالى فرضها خمسين صلاة، مما يدلُّ على محبة الله تعالى لاشتغال الناس بها، لولا أن رحمته سبقت تَعْسِيره، حتى خَفَّفَ ذلك بخمس صلوات بالفعل، ولكنها في الميزان خمسون صلاة.

فكل هذا يدلُّ على أن الصلاة ليست كغيرها من أركان الإسلام، إذ لم يوجد شيء من أركان الإسلام بلغ هذا المبلغ، ولهذا اختَصَّت بأنَّ مَنْ تركها فهو كافر، كما قال عبدالله بن شقيق رحمه الله وهو من التابعين المشهورين: كان أصحاب الرسول صَلَّى الله عليه وسلَّم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة.

فإن قيل: هل وقوع المعراج من هناك دليل على أن بيت المقدس أفضل من الكعبة؟.

فالجواب: لا، إنما أُسري به إلى بيت المقدس؛ لأن غالب الأنبياء هناك؛ لذلك أُسري به إلى هناك من أجل أن يصلي بهم عليه الصلاة والسلام، كما هو في الواقع، والمسجد الأقصى بالإجماع أنه دون المسجد الحرام، ودون المسجد النبوي.

باب فِي ذِكْرِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَالْمَسِيحِ الدَّجَالِ

١٦٩ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرَانِي لَيْلَةً عِنْدَ الْكُعْبَةِ فَرَأَيْتُ رَجُلًا أَدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنتَ رَأَيْ مِنْ أَدَمِ الرِّجَالِ، لَهُ لِمَمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنتَ رَأَيْ مِنَ اللَّمَمِ، قَدْ رَجَلَهَا فِيهِ يَقْطُرُ مَاءٌ، مُتَكِنًا عَلَى رَجُلَيْنِ - أَوْ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ -؛ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ أَغَوْرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَّةٌ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَالُ».

١٦٩ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُسَيَّبِيُّ، حَدَّثَنَا أَنَسُ -يَعْنِي: ابْنَ عِيَّاضٍ-؛ عَنْ مُوسَى -وَهُوَ: ابْنُ عُقْبَةَ-؛ عَنْ نَافِعٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ؛ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَغَوْرَ، إِلَّا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَغَوْرٌ عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَّةٌ»؛ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ عِنْدَ الْكُعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ أَدَمٌ كَأَحْسَنِ مَا تَرَى مِنْ أَدَمِ الرِّجَالِ تَضْرِبُ لِمَمَّتَهُ بَيْنَ مَنَكِبَيْهِ، رَجُلٌ الشَّعْرُ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنَكِبَيْ رَجُلَيْنِ وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلًا جَعْدًا قَطَطًا أَغَوْرَ عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهَهُ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِابْنِ قَطَنِ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنَكِبَيْ رَجُلَيْنِ؛ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ؛ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَالُ».

١٦٩ - حَدَّثَنَا ابْنُ ثُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَأَيْتُ عِنْدَ الْكُعْبَةِ رَجُلًا أَدَمَ سَبِطَ الرَّأْسِ

وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى رَجُلَيْنِ. يَسْكُبُ رَأْسُهُ -أَوْ: يَقْطُرُ رَأْسُهُ-؛ فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ -أَوْ: الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ؛ لَا نَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ-؛ وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْمَرَ جَعَدَ الرَّأْسِ أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى أَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ ابْنُ قَطْنٍ؛ فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْمَسِيحُ الدَّجَالُ^[١].

[١] عيسى ابن مريم عليه السلام يُسَمَّى المسيح، لَقَبَهُ اللهُ تعالى به فقال: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٧١]، والدجال الأعور يسمى المسيح.

وبعض الناس يقول: المسيح، ولكن هذا ليس بصواب، والصواب: المسيح، كما أمرنا أن نستعيز بالله منه في الصلاة، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال. ولكن هناك فرق بين هذا وهذا، فالمسيح الدجال سمي كذلك؛ لأنه يمسح الأرض، ويسير فيها كالريح، بينما المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام سمي بذلك لأنه لا يمسح ذا عاهة إلا برئ.

وتقدم في هذه الأحاديث: أن عيسى عليه الصلاة والسلام رآه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يطوف، ورأى وراءه المسيح الدجال، وهنا إشكال، وهو: أنه قد ثبت أن المسيح الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة، ورؤيا الأنبياء وحي، فكيف يرى المسيح الدجال خلف عيسى ابن مريم؟

والجواب على ذلك من أحد وجهين:

الوجه الأول: أن المسيح الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة إذا أرسل وُبُعْثَ، أما قبل ذلك فقد يكون.

الوجه الثاني: أن يقال: الرؤيا -وإن كانت حقاً إذا كانت من الأنبياء- لكنها ليست كاليقظة، بدليل أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رأى ربه في المنام،

ولا يمكن أن يراه في اليقظة، ولهذا لما سئل: هل رآه في اليقظة؟ قال: «نورٌ أنى أراه»، فيفرّق بين الرؤيا وبين اليقظة، باعتبار واقع اليقظة، فليس كواقع الرؤيا.

ومن المعلوم أنّ الدجال ليس موجودًا من ذلك الوقت، ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف، مما يزيد الإنسان شكًا في حديث الجساسة^(١)؛ لأن وصفه في حديث الجساسة لا يُطابق هذا الوصف، وحديث الجساسة نحن في شكٍّ منه، والعلم عند الله، هل ثبت أو لا يثبت؟.

ولقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه «لَا يَبْقَى عَلَى رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ وَعَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِمَّنْ هُوَ عَلَيْهَا الْيَوْمَ»^(٢).

فكل الذين على وجه الأرض -حين حديث الرسول عليه الصلاة والسلام- لم يبقوا على رأس مئة سنة.

وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر فرقًا يتبين به أن الدجال ليس بإله، وهو أنه أعور العين اليمنى.

فإذا قال قائل: هناك فروق أعظم من هذا، منها: أنه بشر، وأنه حادث بعد أن لم يكن، قابل للفناء، وما أشبه ذلك.

فنقول: الجواب على ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن الأمور العظام -إذا حدثت- أذهشت الإنسان، ولم يتمكن من استعمال العقل في الاستدلال به، والعورُ حسي وهو دليل حسي واضح،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب قصة الجساسة، رقم (٢٩٤٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب ذكر العشاء والعتمة ومن رآها واسعًا، رقم (٥٦٤)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: «لَا تَأْتِي مِئَةٌ...»، رقم (٢٥٣٧).

لا يحتاج إلى تأمل، ولهذا أحاله الرسول صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلّم إلى هذه العلامة؛ لأنها لا تحتاج إلى تأمل، أو إلى تفكير.

الوجه الثاني: أن العور نقص، وإذا كان نقصاً، كان أدلّ على أنه ليس بإله. ولقد استدللّ أهل السُّنَّة بهذا الحديث على أَنَّ الرَّبَّ جَلَّ وَعَلَا له عينان اثنتان فقط، وليس له أكثر من ذلك، قالوا: لأنه لو كان له أكثر من اثنتين، لبيّنه النبي صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلّم.

١٧٠ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ قُتِمْتُ فِي الْحَجَرِ فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

١٧١ - حَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ أَدَمُ سَبِطُ الشَّعْرِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً - أَوْ: يَهْرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً - قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ ذَهَبَتْ أَلْتَفَتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَخْمَرُ جَسِيمٌ جَعَدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ؛ قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَالُ؛ أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنِ»^[١].

[١] هذا وصف قلّ أن تجده فيمن وصف الدجال، وهو قوله: «أَخْمَرُ جَسِيمٌ»،

ولأنها هو رجل يوصف بأنه رجل قَطِط، وأنه أعور العين، وما أشبه ذلك.

١٧٢- وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ -وَهُوَ: ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ-، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٍ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ لَمْ أَتِبْهَا؛ فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ؛ قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبُ جَعْدٍ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشَبَّهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ -يَعْنِي نَفْسَهُ- فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكُ صَاحِبِ النَّارِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتْتُ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ»^[١].

[١] في هذا الحديث من الفوائد:

- ١- أنه آية من آيات الله عزَّ وجلَّ، حيث رفع الله تعالى بيت المقدس للنبي صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلم، وجعل ينظر إليه، ويصفه وهو ينظر إليه.
- ٢- وفيه شاهد لقوله صَلَّى الله عليه وسلم: «وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّابِرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ»^(١)، فكلما اشتدت الكربة، واشتد تعلقك بالله عزَّ وجلَّ فُرِجَتْ، وأما إذا اشتدت الكربة، وجعلت تفكر، أين أذهب؟! إلى كذا، إلى فلان، إلى فلان؟ فإنك تُوكِّلُ إليه، أما إذا كنت تَفْرَعُ إلى الله، فاعلم أَنَّ الْفَرْجَ قَرِيبٌ.

(١) تقدم تخريجه (ص: ٣٣٨).

وكثير من الناس اليوم إذا اشتدت بهم الكرب، قال: أين أذهب؟ فيذهب - مثلاً - لفلان يستجديه، أو يذهب إلى المستشفى الفلاني يعالج فيه، وما أشبه ذلك، لكن لو أنزلها بالله عزَّ وجلَّ، ورفع الأمر إليه؛ يسَّر الله تعالى له الأمر، ولا يعني هذا عدم فعل الأسباب بل يفعلها، ولكن لا يرى أن ذلك السبب هو الذي يزيل كُربته، بل يعتقد أنه إذا لم ييسره الله عزَّ وجلَّ ما حَصَلَ.

٣- أن الكُربَ تلحق الأنبياء، كما لحقت النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم هذه الكُربة العظيمة، حين جعلوا يتحدونه، ويسألونه عن بيت المقدس؛ لأنهم كذبوه، وقالوا: كيف تذهب إلى بيت المقدس، ثم إلى السماء، ثم ترجع في ليلتك، هذا ليس بصحيح! وهذا كذب! واتخذوا من هذه الواقعة التي يتحدث النبي صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم عنها، سلماً لتكذيبهم إياه، وقالوا: هذا محمد يتحدث بهذا الكلام فهو إما كاذب، وإما مجنون! وذهبوا إلى أبي بكر رضي الله عنه، وقالوا: إن صاحبك يتحدث بكذا وكذا، قال: إن كان يتحدث بذلك فهو صادق، ومن ذلك اليوم سُمِّي الصديق رضي الله عنه.

٤- وفيه -أيضاً-: دليل على تشبيه الغائب بالحاضر المشاهد، وأنه من أساليب اللغة العربية، ثم إن الغرض من ذلك -والله أعلم- هو التوكيد، فإن الرسول صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم رأى هؤلاء مؤكِّداً، كما يرى هؤلاء الذين شبههم بهم.

ولهذا -أحياناً- يعتمد الإنسان سبباً معلوماً يحصل به المطلوب معه، أو مع غيره، ثم لا يحصل، فلا بد أن تعمل بالأسباب الشرعية، ولا بدَّ أن تعتقد بأن هذه الأسباب إنما كانت أسباباً بتقدير الله عزَّ وجلَّ، فالاعتماد إذن على الله، ما دُمت أعرف أن هذا السبب لولا الله تعالى لم يكن سبباً، فقد اعتمدت على الله.

أرأيتم النار؟! هي سبب للإحراق لا شك، ولما أُلقي إبراهيم عليه الصلاة والسلام فيها، وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، صارت بردًا وسلامًا، قال الله تعالى لها: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فكانت بردًا وسلامًا، قال العلماء رحمهم الله: لو لم يقل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسَلَامًا﴾ لكانت بردًا تهلكه، لكن الله تعالى قال: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ فصار كأنه عند (مُكَيِّف)، بل أعظم.

والحاصل: أن الاعتماد على الأسباب -مع نسيان المسبب- هذا غلط، لكن الاعتماد على الأسباب على أن الذي جعلها سببًا هو الله، وأن الله عزَّ وجلَّ قادر على أن لا تكون سببًا، وأن لا تنفع، هذا لا بأس به، لهذا كان الرسول صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم سيد المتوكلين، وكان يفعل الأسباب الواقعية، والأسباب الدافعة، يعني: سببٌ بعد وجود الشيء، أو قبل وجود الشيء.

باب في ذكر سدرۃ المنتهى

١٧٣- وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ. (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ؛ جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ -وَالْفَاطَهُمْ مُتَقَارِبَةً-؛ قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيَقْبُضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُنْهَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيَقْبُضُ مِنْهَا؛ قَالَ: ﴿إِذَا يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾؛ قَالَ: فَرَأَسُ مِنْ ذَهَبٍ؛ قَالَ فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُفْجَحَاتُ^[١].

[١] قوله: «وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ» الظاهر أن هذا وهم من الراوي، والصواب: أنها في السماء السابعة.

وأعطي صلى الله عليه وسلم هذه الثلاث؛ لأنها من أفضل ما أعطي الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهي: الصلوات الخمس، أعطيها خمسين صلاة، ثم خففت إلى خمس بالفعل، وهي خمسون في الميزان.

وأعطي خواتم سورة البقرة، ويشير إلى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٨٦﴾، عشر جل كلها أعطيناها، والحمد لله، ما دعونا بواحدة منها إلا أعطينا إياها، ولهذا قال: أعطي خواتيم سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ أي: من الأصار التي حُمِلت على من قبلنا، ومن ذلك أن من شروط التوبة في قصة قوم موسى عليه الصلاة والسلام خاصة: أن يقتلوا أنفسهم، بمعنى أن كل واحد يأخذ سكينًا، ويقتل صاحبه، فوضى عفوية، وليست عن قصد، ولهذا قال بعض المفسرين: أن الله تعالى ألقى عليهم ظلمةً، وأمر كل واحد أن ينطلق، ويقتل من أمامه، وهذه لا شك أنها محنة عظيمة وشديدة.

وكذلك ذكروا: أن الواحد منهم إذا أذنب يصبح وقد كتب ذنبه على باب بيته، وهذه -أيضًا- فضيحة، وهذه الأمة -والحمد لله- ستر الله عليها.

كذلك -أيضًا- بظلمهم، حرم الله عليهم طيبات أُحِلَّت لهم؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُلْفٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَنِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ [الأنعام: ١٤٦]، هذا -والحمد لله- في شريعتنا ممتنع، لم يحرم علينا شيء بسبب ذنوبنا شرعًا، لكن قد يحرم علينا قدرًا بسبب الذنوب، كما لو مرض شخص، وقيل له: تجنب أكل اللحم والتمر -وهما من الطيبات- فإذا كان يضره إذا أكل؛ صار ممنوعًا منه قدرًا، يعني: أن الله قَدَّرَ له هذا المرض، ليمتنع من ذلك، وإن كان مأمورًا شرعًا بتجنب ما يضره.

الثالثة -في هذا الحديث-: «وَعَفَرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقَحِّمَاتُ» يعني: الذنوب التي تقحم الإنسان في الإثم، ثم في النار، إذا كان لم يشرك.

ولهذا من خصائص هذه الأمة: أنها يغفر لها باجتناب الشرك، وتحقيق التوحيد.

وفي هذا دليل على فضيلة تحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الله عزَّ وجلَّ في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

ونودُّ أن ننبه على أن ما ذكره النووي رحمه الله من الجمع بين رؤية سدرۃ المنتهى في السماء السادسة، وما جاء من أنها في السابعة، من أن أصلها في السادسة، وفرعها في السابعة فيقال: الحديث الأصح من هذا أنها في السابعة، ومعروف عند العلماء رحمهم الله - في المصطلح - أنه إذا خالف الراوي من هو أرجح منه، فروايته شاذة.

١٧٤ - وَحَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَبَّادٌ - وَهُوَ: ابْنُ الْعَوَّامِ -؛ حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ زَرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِثَّةٍ جَنَاحٍ.

١٧٤ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ زَرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ سِتُّ مِثَّةٍ جَنَاحٍ.

١٧٤ - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ الشَّيْبَانِيِّ، سَمِعَ زَرَّ بْنَ حُبَيْشٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، لَهُ سِتُّ مِثَّةٍ جَنَاحٍ^{١١}.

[١] هذا يشير إلى الآية - التي في سورة النجم - قال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا

هَوَىٰ ۝ مَا صَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١-٢]؛ أقسم الله تعالى بالنجم إذا هوى؛

لأن النجم إذا هوى احترقت الشياطين، إذ إنه تنطلق منه الشهب، فتحترق الشياطين كما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ أي: ما ضلَّ جهلاً، وما غوى سَفَهًا، فهو عليه الصلاة والسلام يتكلم عن علم، ويعمل برشد، صلوات الله وسلامه عليه؛ فما ضلَّ لما عنده من العلم، وما غوى لما عنده من الرشد؛ لأن الغيَّ ضد الرشد، قال تعالى: ﴿وَقَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فالضلال ضد العلم، والضلال هو الجهل.

وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ فيه توبيخ لقريش، ووجه التوبيخ: أنه صاحبهم الذي يعرفون صدقه، ويعرفون أصله، ونسبه، وأحواله، فكيف يضلُّونه؟.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ أي: لا يتكلم عن هوى، وإنما يتكلم عن قصد الخير، وغيره من الناس يتكلم بهذا وبهذا.

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ يُراد به القرآن على القول الراجح، وليس المراد به السُّنة.

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ أي: ما ينطق به صلى الله عليه وسلم -مما يوحى إليه- وحيُّ يُوْحَى.

وقوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وهو جبريل عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠].

وقوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ ذو مِرَّة: أي هيئة حسنة؛ فاستوى، أي: علا.

وقوله: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ ارتفع حتى صار في الأفق.

وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ دنا، فيها قولان للعلماء رحمهم الله: منهم من يقول: إن الضمير يعود على الرب عز وجل، ومنهم من يقول: إن الضمير يعود على جبريل.

والصحيح المتعين: أنه يعود على جبريل عليه الصلاة والسلام.

وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ هذا إشارة إلى قربه.

وقوله سبحانه: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ مثلها في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِ مَن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ فليذهبوا فبهن﴾ [الصافات: ١٤٧]، يعني: بل هو أدنى.

وقوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]؛ فأوحى إلى عبده، أي: أوحى جبريل إلى عبده، أي: إلى عبد الله ما أوحى.

وقوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ﴿١١﴾ أَفَتَحْمِلُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ رأى جبريل - وليس معناه أنه: رأى الله - رآه نزلة أخرى، أي: مرة ثانية، رآه نازلاً من فوق عند سدرۃ المنتهى، أي في ذلك المكان العالي.

وقوله: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ يغطيها ما يغطيها من الحسن والبهاء، والأمور العجيبة.

فإذا قال قائل: قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ لم نستفد شيئاً من صلة الموصول؛ لأن (يغشى) الأولى، هي (يغشى) الثانية؟!

فنقول: هذا الإبهام يُراد به التعظيم والتفخيم، كقوله تعالى: ﴿فَغَشَّيْهُمْ مِنَ اللَّيْلِ﴾

مَا غَشِيَهُمْ ﴿طه: ٧٨﴾، أي: شيء عظيم.

وقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ أي: أن بصر الرسول صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلّم (ما زاغ)، أي: ما زلّ، (وما طغى)، أي: اعتدى، فلم ينظر إلى ما لم يؤذّن له في نظره، وهذا من كمال أدبه عليه الصلاة والسلام.

ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ الكبرى، قيل: إنها مفعولٌ به لـ(رأى)، والصحيح: أنها صفة لـ(آيات)، أي: رأى من الآيات الكبرى.

والفرق بين القولين، أننا إذا قلنا: إن الكبرى مفعول ثانٍ، صار المعنى: لقد رأى الكبرى من آيات ربه، وإذا قلنا: إن الكبرى صفة لآيات، صار معناها: رأى من الآيات الكبرى، ولكن ليست هي أكبر كل شيء.

والحاصل: أن الذي دنا فتدلى، وأن الذي رآه النبي عليه الصلاة والسلام هو جبريل عليه الصلاة والسلام، هذا هو القول الراجح المتعين، وإن كان بعض العلماء رحمهم الله يرى أن الله تعالى هو الذي دنا، وتدلى وقرب من الرسول صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلّم، وأن الرسول رآه، لكنه قول ضعيف لا يُسعفه السياق، ولا تُسعفه الأحاديث الثابتة عن النبي عليه الصلاة والسلام، ففي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلّم: هل رأيت ربك؟ فقال: «رَأَيْتُ نُورًا»، وفي لفظ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»^(١)؛ لأن الله عزَّ وجلَّ -مع أنه نور سبحانه وتعالى- محتجب بحُجُب من الأنوار عظيمة، فهو سبحانه وتعالى لا يُرى، ولا يتمكن أحد أن يَرَاهُ في الدنيا أبدًا في اللحظة، لكن في المنام ربما يراه، كما رآه النبي صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلّم.

(١) سيأتي شرح الحديث برقم (١٧٨).